

لا يستدين من ثروته
الضخمة بعض المال ؟
وتساءل مرة ثانية: ألا يجوز
أن يرفض عبد السميع

طلبه وهو الذي عرف ببخله على زوجته الثلاث ! .
ومشاكسته لمن كلما أردن أن يقدمن للضيوف واجب
الضيافة ؟ !

ولكن ما كاد محمود يرى عبد السميع وهو يستقبله
بابتسامة عريضة ، ويضع في يده المال الذي طلبه ، حتى خيل
إليه أن الرجل الذي جاوز السبعين مظلوم ، وأن كل
ما قيل عنه ما هو إلا محض افتراء .

أقرضه عبد السميع ديناً
كبيراً دون أن يشترط عليه أية
فائدة ، مما أثار دهشته وأخرجه
عن أترانه ، فانحنى على يد

عبد السميع يلتهمها في حرارة غريبة .
وأم محمود لم تنس هي الأخرى أن تسأل ربها العمر
المديد ، والنعمة الدائمة ، والجزاء الأوفى للصديق الذي
تذكرهم وقت الشدة .

ودفع محمود بنصف الدين ما عليه من الديون ! وقسم
النصف الباقي بين تكاليف زواجه ومصاريف البيت ، ثم
أخذ يطرق الأبواب بحثاً عن بنت الحلال موئل آماله
ورجائه ، والدنيا لا تكاد تسعه
لفرط فرحته بذلك الفرج الذي لم
يكن يتوقعه ، ولكنه كلما طرق
باباً أغلق دونه في قسوة وعناد .

وأظلمت الدنيا في عين محمود ، وعرف أن الزواج
مستحيل عليه حتى يحطم ذلك القيد الذي كان يلتف حول
عنقه كجبل المشقة ، ونسى على مر الأيام فكرة الزواج أو
تناساها ، وأصبح الدين شغله الشاغل ، وأصبح عبد السميع
الشبح الخيف الذي يطارده حيثما ذهب ، ورمى نفسه على
عتبة شخص آخر كان يعرف أباه معرفة وثيقة ورجاه أن
يتوسط له عند أحد أصحاب الشركات .

وسأله مدير الشركة عن مؤهلاته ، فلوح له بساعده
في الهواء وهو يقول له في اعتداد : هذا كل مؤهلاتي ! ولم
يقبل له المدير شيئاً وإنما أحلقه في عمل مرهق .

القيد الحديدي

لأول مرة شعر محمود
بالمسؤولية الثقيلة بعد وفاة
والده ، وكان عليه وهو
الذي لم يعود نفسه على

مواجهة الحياة وأيامها السود ، فبدد من يده ثروة لم يكن
يحلم بها إرضاء لطيشه وكبريائه . كان عليه أن يعود إلى أهله
ويعول أمه العجوز وأخاه الذي كان يتعثر في سنته العاشرة ،
وشقيقته سعاد التي لم تكن تملك من دنياها إلا جاذبية تحسد
عليها ، ولو لا أنها كانت فقيرة لما اختلفت عن بنات الدوات
في زهوها بجملها واعتدادها بنفسها ، وشغفها بكل ما كان
يجد في عالم الفتاة العصرية !

وتحتم على محمود أن يدبر
لهم المال الذي يطعمهم ويسقيهم
ويدفع عنهم شر المرض والبرد
والتشرد ، وكان كل ما ورثه

عن أبيه بيتاً أصبح من كثرة الترميم كالأطلال في مهب
الريح ، وبضع «روبيات» لا تكفيهم لأكثر من أيام معدودات
وجاهد في بادئ الأمر في ضغط المصروفات إلى حد التقثير !
ولكن أسعار الأشياء المقومة لحياتهم ، كانت ترتفع كل
يوم إرتفاعاً جنونياً لا حد لها ولا ضابط ، ووجد نفسه
كالكلب يلثث وراء (تنكة الماء) ! !

وراح ينظر إلى المستقبل الرهيب كما ينظر إلى مجهول
يطبق أجفانه ويفتحها عليه ،
لقد افترش هو وأهله الأرض ،
والتحفوا السماء ، وشربوا
السراب ، وأكلوا الجذب ،
وأصبحت الحياة بالنسبة إليهم مجاعة تهددهم بالفناء .

وأحس محمود في تلك اللحظة الحرجة ، أنه في حاجة
إلى حنان يعينه على الكفاح ، ولكن أنى له أن يوفق
بين زواج سعيد ، وإعواز كان يمسك عليه أنفاسه ، ولكنه
لم ينظر إلى الحياة هذه النظرة الفلسفية التي لا تخلو من
الواقع الألم ، لأنه كان مدفوعاً بقوة كامنة في أعماق نفسه
إلى شيء رأى فيه ما يخفف عنه الصدمة ولو إلى حين .

وعاد بذهنه إلى الماضي فتذكر عبد السميع صديق
المرحوم والده ، وتذكر أن أباه — رحمه الله — قد أحسن
عليه حينما كان لا يملك من الدنيا إلا حطاماً وتساءل : لماذا



وبعد ستة شهور ذاق محمود خلالها ألوانا من البؤس والحرمان ، حاول أن يعرف مقدار ما جمعه ، فوجد أن استمراره في ذلك العمل الشاق لن يخلصه من دين عبد السميع إلا بعد خمسة أعوام ، فلم يئأس ، وصمم على أن يضغط هذا الدهر الطويل ! إلى عامين اثنين ، وضاعف جهوده فواصل الليل بالنهار ، وكلف نفسه أكثر مما تستوعبه طاقة البشر ، وكان كل شيء يتضاءل في عينه أمام ذلك الدين الثقيل وشغل محمود أوقات راحته بالأعمال المضنية ، حتى بدأ الهزال يسرى في جسمه النحيل وحاول أصدقائه أن ينصحوه ليشفق على نفسه ولا يكلفها فوق قدرتها ، ولكن دون جدوى ، بل وحد محمود في الحاح أصدقائه عليه ما ضايقه أشد المضايق ، ففضل العزلة . وهكذا تجمعت على قلبه الضعيف معاول الدين والحب والعمل والأمل والوحدة ، وأخذت تضربه في عنف حتى حطمته .

مات محمود وترك أمه وأخاه وشقيقته سعاد تحت رحمة القدر ، وما كاد عبد السميع يسمع بموت محمود حتى أرسل محاسبه إلى أم محمود يطالبها بدفع الدين ، ودفعت أم محمود للمحاسب كل ما أذخره ابنها الراحل ، وظلت تموسل إليه بكل ما يثير جامد العواطف ليتريث حتى يفتح الله لابنها الصغير بابا من أبواب الرزق .

فقال لها المحاسب وقد لاحت على فمه ابتسامة عارضة ، يا أم محمود أنت لا تعرفين عبد السميع صديق المرحوم زوجك ، إنه رجل نبيل ، يحب الاحسان وبكره الاساءة ، واستطرد المحاسب يقول بينما ظلت أم محمود تقاطعه بالأدعية الصادقة للصديق الكريم وإنه بحكم صداقته للعائلة يتنازل عن الدين كله وبحركة لاشعورية اندفعت أم محمود كذلة واحدة لتقبل يد المحاسب ، ولكن المحاسب أسرع ورفع يده من أعلى المنضدة ، وقال وهو يلوح لها بوثيقة الدين : ولكن له رجاء بسيط يا أم محمود ، وقفرت يدها آلياً إلى عينيها ورأسها وهي تقول : إن رجاءه على العين والرأس واعتدل المحاسب في جلسته وقال : إن عبد السميع يطلب يد سعاد ؛ وغمغمت أم محمود في ذهول ! سعاد ! وقال المحاسب مهبطاً ، من مصلحة ابنتك أن تقبل هذه التسوية مختارة لا مرغمة .

وأطرقت أم محمود طويلاً . وشعرت بأن آلام سبعين سنة تجثم عليها دفعة واحدة ، لتذوب نفسها ، وتفتت قلبها العاصر بالإيمان ، فضجت أعصابها ، وازدحمت نفسها بالآمال

المحطمة ، كيف تزوج فلذة كبدهلحجوراً يجمع في بيته ثلاث زوجات أصغرهن جاوزت الأربعين ! وكانت دائماً تمنى نفسها بأن يمد الله في عمرها حتى تطمئن إلى أن وحيدتها أصبحت في رعاية زوج يحنو عليها وينسج معها في السن والمزاج لقد عقدت المناجاة القاسية لسانها ولم تقل شيئاً ، وإنما راحت تسمح دمعة سخينة انحدرت على خدها الشاحب الضئيل .

ورانت فترة صمت كادت تطول ، لولا أن سعاد أسرع وأزاحت الستارة التي كانت تصفى من ورائها لما كان يدور بين أمها وبين المحاسب من حديث واندفعت نحو المحاسب . وكادت تفقد السيطرة على نفسها وتصرخ في وجهه ، ولكن هالها أن ترى الدموع تنحدر منها في صمت ، فنكست رأسها واستسلمت لإرادة الذئب العجوز .

يوسف محمد الشامي

عندنا أدباء

(بقية المنشور على صفحة ٣)

ولا يقفون في ٥٠ أى مشروع من شأنه بث الروح الأدبية الخالدة ، ورفع مستوى التفكير ، وخدمة الوطن الحبيب . بل إنهم على العكس من ذلك ؛ يحبون كل خير ، ويشجعون كل فكرة مفيدة ؛ وليس موقفهم من « نادى المعلمين » بعيد ، وسوف تثبت لنا الأيام صدق ما ندعى . على أننا يجب أن نقول صراحة ، أن على المسؤولين في البلاد واجبات أكثر ، ومسئوليات أعظم ، تنتظر منهم العمل والإنجاز ، وقد قلنا مراراً وتكراراً ، أن هذا العصر - عصر الكهرباء والذرة - إنما هو عصر السرعة ، وإن علينا مجاراته في جميع تطورات ، ولا يمكن لنا أن نجاريه ، مالم نعمل بصدق وإخلاص ، ولا يمكن أن نعمل بصدق وإخلاص مالم نكون مطلعين على جميع مرافق تطورات الحياة العامة في هذا العالم ، ومالم نكون ملين إماماً واسعاً بكل حركة من حركاته العجيبة السريعة؛ ووسائل الاطلاع وفيرة متبصرة وفي متناول كل يد تمتد إليها . إن المميزات التي تمتاز بها الكويت لاتوفر في أى بلد عربى آخر ، وإن وسائل العمل لواسعة ، ومجال الخدمة لفسيح ، وإنما لزوجوا أن نكون قد أعددنا العدة الكافية واتخذنا كل أسباب العمل لتنفيذ ما علينا من واجبات

حقق الله الآمال ، ووفق العاملين ، وأخذ بيد الجميع إلى ما فيه خير الوطن .

رئيس التحرير